

برودة كفيك وثيقة إرانتة * ..

بقلم الدكتور مسالك سليمان

جرحنا وسع الدنيا
ذكيف مسودة الكتابة المسماوية
تنصب مسلة تعمد السماء ؟
وكيف الريح التي بطعم النار
تتخذ لون الوردة ؟
فيما نحن مأخوذون بأسماء الالوان المفصلة
كما تهوى الفصول

...
تري ، خريف الارض ، أم خريف بقائك فيها ؟
ومن الذي ممن نحب ، يعتمر الخوذة ، ويحمل السلاح ؟
...

حصل الذي كان
بالغ بالاختيار من نثروا لحمه وعظامه في كل ربح ، في كل جبهة ،
اذ أصابوا قلبا للامة . وقلب الامة لن يموت .
آثروا ان يقولوا في صدر الوطن الفلسطيني صوتا من اصواته الجهيرة .
ارادوا ان يمحووا وجه الامة فصوروا بجريمتهم وجهين : وجه الحكام
الطفاة المتأمرين ، ووجه الشعب الخارج من ثيابه يهدر في مسامع
الدنيا صارخا : أين حقي .

...
ولم يكن رأسك أبدا في مثل استعداده
للانفجار يوم واجهه .

وكان الموت عندك المجيبة الوحيدة
والجرح الذي يحسب .

وكنت تحس رصيده في كل حساباتك
وفي الصناعة التي اتقنت
لانك جدار في قلعة الصمود والمواجهة
وامتياز في شرف الانتماء لقضية .
ولم يكن ثمة من يموت من أجلك
كانما أنت الوطن لم يموت من أجله أحد
ومات الجميع
وهو لما يموت

وكلما اشتاق طعم الدم ، جاده من قلب
الف شهيد .
فان تموت لا تعني شيئا
لان الموت ليس سوى تحوّل
فهل رأيت شعبا يموت ؟
انه يتحول في أشعة هذه المرأة المحرقة
ما دامت مسافة الخلق بين الحرية والوطن
بحجم الحرية ، وبحجم الوطن .

...
...

رايتك في النوء نوعا
وفي الليلة المدلهمة ضوءا
وعند الصباح
ظلالا
توهج بالكشف والكبرياء
وأرضا تقاسمها الدخلاء الطفافة ، ومن زعموا اولياء
...

هذه الارض ، أرضك مكتوبة على دمك
حملتها وكانت قبلا ترابا يفره الحبور الساذج
وخضرة تنزهت عن جرائم التبادات والسلالات
لكن الارض عميقة . الارض متطلبة .
الارض تتطلب معمودية الاموات
من عبودها
من لعنوها
من تسجوا فيها
وهم وحدهم يردون اليها بكاره هتكت .

...
حملتها الارض
تستيقظ على طلقات طفولتك النقية
يرشها قوم وهبوا أنفسهم لظهر الجنود
وتراهم ، وتعض التراب
وتحس بحرقة الدم الحي
وتصبح ابن وطن
رجلا ضائعا
قويا لتقاتل اليوم
ولكي تموت غدا !

...
ولهذا ، أثرت جنة التواييت على تابوت الجنة
فحين يسقط في الحلبة قلم
يحس الخلق الاسمى بجرح في جبينه
وهزة كونية تعتري الجبال ، جبال الناس
ونور ميت ، يتصدى زحف النهر الكبير
ويرين صمت الصحارى والغبار
كان لسانك ، روحك أغلق في وجهها كل باب .
فماذا نكون لبيستانك الترامي على
حافة الموت ؟
سنسقيه بالأعز عطاء ...
سنحرسه بالاقوى فداء ...

(✕) ألفت في الذكرى الاولى لاستشهاد غسان كنفاني بدعوة من
اتحاد الكتاب اللبنانيين واتحاد الكتاب والصحفيين
اللسطينيين .

حصل الذي كان

• • •

حفيف الاوراق الثلجي
في ادغال الصحف الصفراء
حل محل سقوط الاوراق
تأثرها

جاء الاحياء

بخريف الدم .

• • •

ويا غسان :

تموت أنت ؟

الوطن يعاني من موت يومي ..

وأنت تخط ، بعد موتك ، ذات الحروف

على ترس الليل النحاسي البارد

الذي تحقق وجوده ملاسى أنامل تركتها

بعمر الورد .

وظن المجرمون أنهم انما انتصروا

وما دروا

أنهم شنقوا آمالهم بشجرة حقدهم اليابسة .

وتستمر أنت في خط الدوائر

حول الذين تطيب لهم النزهة فوق السطوح

ونحن نعلم انه لم يكن ليخصك المخمل المزيف

والخطوات الممدودة فوق البساط الاخضر

وكنت تحترق قرن الثور الذي يشق عصا الطاعة ليعود الى نلمه من جديد.

ولم تكن لك ايضا كف الانشفاق التي كانت قبيلة القنلة تعيرها في

لحظة البحيرة والمرأة

ولهذا

كنت بيضة البلور ، المبدلة محها الاصفر بخضرة عينيك

وتخترع في موتك لونا رسميا

يختزنه الطلاب في دفاتر الذكرى

وجها للانتصار .

• • •

ويا غسان :

زجاجة خمر الشهادة التي فتحت

جعلتك تخرج منها روحا مشبعا ببعث الفصول

وبرودة كفيك

انما هي وثيقة ادانة من خانوا وجوب النزول الى الاعماق ،

مدرعين بنجمتك الخضراء ...

وعرفت الآن سر بهاء قرارك :

ان تحمل اخضرار عينيك : قلت ابشامك

في الموت

الى سطوح النيام

تكشف زيف وقوفهم

وبحثت عنك في من أحبوك

ورغبت عن رؤية الحرف الى رؤية الصوت

وكان صوتك

الا انه الصدى المرجع من غد قادم ، كما الشعر

قلب الافنية

الرحيق الميثوث

في الزهرة تقصفها الرياح الهوج .

• • •

ويا مواطن شرف في قلب الاحرار :

بمقدار اقترابي منك ، كنت تبتمد ،

فيما أنت تقترب

تري ، كنت الوطن ، في سورة واقعه ؟

أم صدى الورقة المتناثرة ، أم الجناح المهيض ؟

أم هذه النامة الحجرية هنا

ما أن تهمد من ثقل الهزيمة حتى تستيقظ في سعار ؟

أجل !

كنت كل ذلك .

ولكن ، ما السبيل الى تكوينك حبة حبة ، ريشة

ريشة ، زلزلة زلزلة ؟

لماذا ؟؟

لأنك كنت كل ذلك ، فصرت من التاريخ

ولأنك من بناء الفرح ، وشاهد مولد انصواء

فأنت الضوء في وجه من وجوهه

مثلما أنت اليوم معنى من معاني الوطن في

عمق محنته ، وفي المؤمل من روعة انتصاره .

• • •

ويا غسان :

لئن اكتشفت ان الحياة شيء ما

بدأت تبحث في الحياة عما يشكل التاريخ

تقود بيدك مجرى النهر

تفتح عينيك على الدهشة

تبحث عن الحمى في الداخل

عن المشهد الجامع في الصورة

وتعيش لاجلك أنت

لان حجبك بعدت عن أن تحيط به

وتملأه بالمعجب

بالاحرف الحديدية تسور دائرة وجهك في المدى الذي تدور فيه

تصعد فيه المياه والقلل

وتطرح كل يوم سؤالا ، تمكر فيه نظام الاشياء

وتحول كل حكمة الى هيكل عظمي .

تسال « عن الرجال والبنادق » ، ولا جواب .

وتسال من جديد :

– من جعل « أرض البرتقال الحزين » حزينه ؟

– من حول هذا العالم الى « عالم ليس لنا » ؟

لماذا لا تجيبون ؟ هل تخافون على وطنكم أن

يسلب ؟ وعلى مزارعكم أن تخرب ؟

أجيبوا ! على م الخوف ؟ ماذا تخسرون ؟

و « ما تبقى لكم » ؟

ان الذين خسروا حتى هوية الانتماء لوطن ،

ان ناروا ، ان يخسروا الا سلاسلهم .

سيبقى ، إذن ، سؤالك بلا جواب . وسوف تجيب أنت على من

يطرحونه بالتالي .

وببدأ التاريخ من ذباك الجواب .

• • •

ويا غسان :

لغيري أن يراك جراحا تقائل ، ومعاول ، وسنابل ..

لغيري ان يراك مشاتل جمر ، ومشاعل ..

أما أنا ، فاني : رأيتك في النوء نودا

وفي الليلة المدلهمة ضوءا

وعند الصباح الملايين تصرخ :

وطني ، وطني ، وطني ، وطني !

ميشال سليمان